

THE NOBEL PEACE PRIZE

محاضرة نوبل

يلقيها

الحائز على جائزة نوبل للسلام لعام 2018 دينيس موكويجي

أوسلو، 10 ديسمبر 2018.

حقوق الطبع والنشر © مؤسسة نوبل، ستوكهولم، 2018

يصرح بالنشر في الصحف وبأي لغة.

إلا أن النشر في النشرات الدورية أو الكتب أو بصيغ رقمية أو إلكترونية، بخلاف الاقتباس المقتضب أو التلخيصي، يتطلب الحصول على موافقة المؤسسة. فيفرض على جميع المطبوعات الكاملة أو التي يقتبس معظمها الالتزام بإشعار حقوق الملكية المشار إليه أعلاه.

في ليلة 6 تشرين الأول/ أكتوبر 1996 المأساوية، هاجم المتمرّدون مستشفىنا في 'اليميرا'، بجمهورية الكونغو الديمقراطية. قُتل أكثر من ثلاثين شخصا. وجرى ذبح المرضى عن كذب في أسرّتهم. وقُتل الموظفون بدم بارد لعدم تمكنهم من الفرار.

لم أكن أتصور أن هذه كانت مجرد البداية.

اضطررنا لمغادرة 'اليميرا'، وفي عام 1999 أنشأنا مستشفى 'بانزي' في 'بوكافو' حيث لازلت أعمل كطبيب نساء وتوليد.

وكانت أول مريضة دخلت المستشفى ضحية من ضحايا اغتصاب أُطلق النار على أعضائها التناسلية.

العنف البشع لم يكن يعرف حدودا.

وللأسف لم يتوقف هذا العنف أبداً.

وفي يوم من الأيام، تلقى المستشفى مكالمة هاتفية. وكان المتحدث أحد الزملاء يتوسل باكياً: "رجاء، أرسلوا لنا سيارة إسعاف بسرعة. أسرعوا من فضلكم" فأرسلنا سيارة إسعاف، كما جرت العادة على ذلك.

بعد ساعتين، عادت سيارة الإسعاف.

في داخلها كانت فتاة صغيرة عمرها ثمانية عشر شهراً. كانت تنزف بغزارة وتم نقلها على الفور إلى غرفة العمليات.

عندما وصلت، كانت الممرضات يجهشن بكاء. أصيبت في المثانة والأعضاء التناسلية والمستقيم بجروح خطيرة، بسبب ولوج ذكر شخص بالغ.

توسلنا في صمت إلى الله: يا إلهي، قل لنا أن ما نراه ليس صحيحاً.

أخبرنا أنه حلم سيئ.

أخبرنا عندما نستيقظ بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

لكنه لم يكن حلماً سيئاً.

كان واقعا.

لقد أصبح هذا هو واقعنا الجديد في جمهورية الكونغو الديمقراطية.

عندما وصل طفل آخر، أدركت أن المشكلة لا يمكن حلها في قاعة العمليات؛ بل من خلال مواجهة الأسباب الكامنة وراء هذه الفظائع.

قررة الذهاب إلى قرية 'كافومو' لأتحدث مع الرجال: لماذا لا تحمون أطفالك وبناتكم وزوجاتكم؟ أين السلطات؟

كم كانت مفاجأة كبيرة لما علمت أن القرويين كانوا يعرفون المشتبه به. كان الجميع يخشاه لأنه كان عضوًا في البرلمان المحلي ويتمتع بالسلطة المطلقة على السكان.

ولعدة أشهر، كانت ميليشياته ترهب القرية دون عقاب. وزرعت الرعب هناك لأنها اغتالت مدافعا عن حقوق الإنسان كانت له الشجاعة للتبليغ عما يقع. ولم يحصل أي شيء يذكر للبرلماني لأن حصانته البرلمانية أتاحت له الإفلات من العقاب.

بعد حالي الطفلتين، توالى حالات عشرات الأطفال الآخرين المغتصبين. وعندما وصلت الضحية الثامنة والأربعين، فقدنا كل أمل.

وبرفقة المدافعين الآخرين عن حقوق الإنسان، ذهبنا إلى محكمة عسكرية. وفي النهاية تمت محاكمة المغتصبين واعتبرت جرائم الاغتصاب جرائم ضد الإنسانية.

وبعدها توقفت عمليات اغتصاب الأطفال في 'كافومو'.

وتوقفت المكالمات إلى مستشفى 'بانزي' أيضا.

لكن الحالة النفسية والجنسية والإنجابية لهؤلاء الأطفال كانت قد تضررت كثيرا.

ما حدث في 'كافومو' ولا يزال مستمرا في أماكن أخرى عديدة في الكونغو، مثل عمليات الاغتصاب والمذابح في 'بيي' و'كاساي'، أصبح ممكنا بسبب غياب سيادة القانون، وانهيار القيم التقليدية والإفلات من العقاب، خاصة بالنسبة للأشخاص ذوي النفوذ.

إن عوامل الاغتصاب، والمذابح، والتعذيب، وانعدام الأمن على نطاق واسع، والافتقار الصارخ للتعليم، تؤدي إلى دوامة من العنف لم يسبق لها مثيل.

تعد التكلفة البشرية لهذه الفوضى الخبيثة والمنظمة بمئات الآلاف من النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب، ونزوح أكثر من 4 ملايين شخص داخل البلاد وفقدان 6 ملايين نسمة. تخيلوا أن ما يعادل مجموع سكان الدنمارك قد هلك في صمت مدقع.

ولم تنج قوات حفظ السلام والخبراء التابعين للأمم المتحدة من الأذى. فقد قتل العديد منهم أثناء ممارستهم لمهامهم.

واليوم لا تزال بعثة الأمم المتحدة حاضرة في جمهورية الكونغو الديمقراطية لكي لا يزداد الوضع تدهورا. ونحن لهم ممتنون.

ومع ذلك، ورغم هذه الجهود، تستمر هذه المأساة الإنسانية دون معاقبة المسؤولين عنها.

إن مكافحة الإفلات من العقاب هي وحدها الكفيلة بكسر دوامة العنف.

لدينا جميعا القدرة على تغيير مسار التاريخ إذا كانت المعتقدات التي نناضل من أجلها عادلة.

- - - -

أصحاب الجلالة، أصحاب السمو الملكي، أصحاب السعادة، أعضاء اللجنة الموقرين، عزيزتي نادية مراد، السيدات والسادة، أصدقاء السلام.

باسم الشعب الكونغولي أقبل جائزة نوبل للسلام. ولجميع ضحايا العنف الجنسي في كل أنحاء العالم أهدي هذه الجائزة.

أغتتم هذه الفرصة لأشكر كل من قدم الدعم لمعركتنا على مر السنين. أعني، على وجه الخصوص، منظمات ومؤسسات الدول الصديقة، وزملائي، وعائلي، وزوجتي العزيزة مادلين.

- - - -

السيدات والسادة، أصدقاء السلام،
أسمي دينيس مكويجي وأصلي من أحد أغنى بلدان العالم. ومع ذلك، فإن شعب بلدي من أفقر شعوب العالم.

الواقع المزعج هو أن وفرة مواردنا الطبيعية -كالذهب والكولتان والكوبالت وغيرها من المعادن الاستراتيجية- هي السبب الرئيس في الحرب وفي العنف المفرط والفقير المدقع.

نحن نحب السيارات الجميلة والمجوهرات والأجهزة التافهة. أنا نفسي لدي هاتف ذكي. وهذه الأشياء تحتوي على المعادن الموجودة في بلدي. وغالبا ما يتم استخراجها في ظروف لا إنسانية من قبل أطفال صغار يقعون ضحايا للترهيب والعنف الجنسي.

وعندما تقود سيارتك الكهربائية أو عندما تستخدم هاتفك الذكي أو تمدح مجوهراتك، فكر لدقيقة في التكلفة البشرية لتصنيع هذه الأشياء.

فأقل ما يمكننا القيام به كمستهلكين هو حشد الجهود بحيث يتم تصنيع هذه المنتجات مع مراعاة الواجبة للكرامة الإنسانية.

وغيض الطرف عن هذه المأساة هو بمثابة التواطؤ في الجريمة.

ليس مرتكبو العنف وحدهم المسؤولون عن جرائمهم، بل أيضا أولئك الذين يختارون النظر في الوجهة الأخرى.

إن بلدي يتعرض لنهب منهجي بتواطؤ أشخاص يدعون أنهم قادتنا. تُنهب ثرواته لتكريس سلطانهم وتعزيز ثروتهم ومجدهم. تُنهب على حساب الملايين من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء الذين رُبي بهم في فقر مدقع. وينتهي مطاف الأرباح من المعادن في حسابات مجهولة لشلة من النخبة المتوحشة.

عاينت منذ عشرين عاما، يوما بعد يوم، في مستشفى 'بانزي'، العواقب المروعة لفضاعة سوء إدارة البلاد.

هناك أطفال، بنات، شابات، أمهات، جدات، وكذلك رجال وأولاد، يتعرضون للاغتصاب الشنيع، وغالبا ما يتم اغتصابهم أمام الملاء ومن جانب العصابات، عن طريق إدخال مواد بلاستيكية حارقة أو أدوات حادة في أعضائهم التناسلية.

سأوفر عليكم التفاصيل.

لقد تعرض الشعب الكونغولي للإذلال والإهانة والمذابح على مدى أكثر من عقدين على مرأى ومسمع المجتمع الدولي.

واليوم بفضل انتشار تقنيات المعلومات والاتصالات الجديدة، لا يمكن لأي أحد أن يقول: 'لم أكن أعرف!'

- - - -

ومن خلال جائزة نوبل للسلام أدعو العالم ليكون شاهدا على ما يقع وأحثكم على الانضمام إلينا من أجل وضع حد لهذه المعاناة التي تمثل وصمة عار على جبين إنسانيتنا المشتركة.

سكان بلدي بأمس الحاجة إلى السلام.

لكن

كيف نبني السلام على المقابر الجماعية؟
كيف نبني السلام دون الحقيقة أو المصالحة؟
كيف نبني السلام دون عدالة أو جبر الضرر؟

وأنا أتحدث إليكم ثمة تقرير يقبع في درج مكتب من مكاتب نيويورك. وضع هذا التقرير بعد إجراء تحقيق مهني صارم في جرائم الحرب وانتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة في الكونغو. هذا التحقيق يشير صراحة إلى المجني عليهم والأماكن والتواريخ، لكنه لا يسمي الجناة بأسمائهم.

يصف تقرير 'مشروع رسم الخرائط' الذي وضعه مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان ما لا يقل عن 617 جريمة من جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وجرائم ربما ترقى للإبادة الجماعية.

ما الذي ينتظره العالم ليأخذ هذا التقرير في الاعتبار؟ فلا يمكن تحقيق السلام الدائم بدون عدالة. والعدالة ليست قابلة للمساومة.

دعونا نتحلى بالشجاعة لنلقي نظرة نقدية ونزيهة إلى ما يجري منذ فترة طويلة في منطقة البحيرات الكبرى.

دعونا نتحلى بالشجاعة للكشف عن أسماء مرتكبي الجرائم ضد الإنسانية لمنعهم من مواصلة تخريب تلك المنطقة.

دعونا نتحلى بالشجاعة للاعتراف بأخطائنا الماضية.

دعونا نتحلى بالشجاعة لنقول الحقيقة ونقوم بمهمة التذكير بما حصل ونخلد أرواح الضحايا.

أيها المواطنون الكونغوليون الأعزاء، دعونا نتحلى بالشجاعة لتحمل مسؤولية تحديد مصيرنا. دعونا نبي السلام ونبني مستقبل بلدنا ونبني معا مستقبلا أفضل لأفريقيا. لن يقوم بذلك أحد غيرنا.

- - - -

سيدياتي وسادتي، أصدقاء السلام،

الصورة التي رسمتها لكم هي صورة واقع مظلّم. لكن دعوني أحدثكم عن قصة سارة.

نُقلت سارة إلى المستشفى وهي في حالة حرجة. كانت جماعة مسلحة قد هاجمت قريتها، وذبحت عائلتها بأكملها، وتركتها وحيدة.

تم اختطافها إلى الغابة. رُبطت بشجرة. كانت عارية. تعرضت سارة للاغتصاب الجماعي كل يوم حتى فقدت وعيها...

عندما وصلت إلى المستشفى، لم تستطع سارة المشي أو حتى البقاء واقفة على قدميها. فقدت السيطرة على المثانة والأمعاء.

وبسبب خطورة إصابة أعضائها التناسلية والبولية والجهاز الهضمي، علاوة على العدوى المنتشرة فيها، لم يمكن لأحد أن يتخيل أنها ستكون قادرة في يوم من الأيام على الوقوف على قدميها.

والهدف من عمليات الاغتصاب هذه المسخرة كأسلحة حرب هو تدمير الضحية وأسررتها ومجتمعها. أي باختصار، تدمير النسيج الاجتماعي.

ويوما بعد يوم، كانت عيناها تشع ببريق رغبتها القوية في الاستمرار في العيش. وكانت كل يوم تشجع الطاقم الطبي على عدم فقدان الأمل.

اليوم، سارة امرأة جميلة ومبتسمة وقوية وجذابة.

لقد تعهدت سارة بمساعدة الأشخاص الذين نجوا من نفس الويلات التي عانت منها.

تلقت سارة خمسين دولارا أمريكيا، وهي منحة يمنحها بيت العبور 'دوركاس' للنساء الراغبات في إعادة بناء حياتهن على المستوى الاجتماعي الاقتصادي.

وها هي اليوم تدير مقاولتها الصغيرة. لقد اشترت قطعة أرض. وساعدتها مؤسسة 'بانزي' بالألواح لوضع السقف على البيت الصغير الذي بنته. هي الآن مستقلة وفخورة.

تبين قصتها أنه حتى لو كان الوضع صعبًا ويبدو يائسًا، فثمة دائمًا بصيص أمل في نهاية النفق.

فلماذا نستسلم نحن طالما أن هناك امرأة مثل سارة لم تستسلم؟

هذه قصة سارة. سارة كونغولية. ولكن هناك مثيلات سارة في جمهورية أفريقيا الوسطى، وكولومبيا، والبوسنة، وميانمار، والعراق وفي العديد من البلدان الأخرى في العالم التي تمزقها الصراعات.

- - - -

في 'بانزي'، بين برنامج الرعاية الشاملة المعتمد، والذي يشمل الدعم الطبي والنفسي والاجتماعي والاقتصادي والقانوني، أنه حتى لو كان السبيل إلى التعافي طويلًا وصعبًا، فإن الضحايا لديهم القدرة على تحويل معاناتهم إلى قوة.

وإمكانهم أن يساهموا في تحقيق التغيير الإيجابي في المجتمع. هذا هو الحال بالفعل في 'بيت البهجة'، وهو مركزنا لإعادة التأهيل في 'بوكافو'، حيث تحصل النساء على الدعم لاستعادة تحكمهن في مصيرهن.

ومع ذلك، لا يمكنهن تحقيق النجاح بمفردهن، ودورنا هو الاستماع إليهن كما نستمع اليوم إلى السيدة نادية مراد.

عزيزتي نادية، شجاعتك وجراتك وقدرتك على منحنا الأمل هي مصدر إلهام للعالم أجمع، وبالنسبة لي شخصياً.

- - - -

إن جائزة نوبل للسلام التي منحت لنا اليوم لن تكون لها قيمة حقيقية إلا إذا تمكنت من تغيير حياة ضحايا العنف الجنسي في جميع أنحاء العالم تغييرا ملموسا، وإذا ساهمت في إعادة السلام إلى بلداننا.

فماذا عسانا نفعل؟
وماذا بوسعكم أنتم أن تقوموا به؟

أولاً، يتعين علينا جميعاً العمل من أجل تحقيق هذه الغاية.
فاعتماد هذا الإجراء أو ذلك هو خيار
خيار بين:

- أن نضع حداً للعنف ضد المرأة أم لا،
- أن ننشر أم لا ننشر ثقافة ذكورية إيجابية تعزز المساواة بين الجنسين، في زمن السلم أو الحرب.

خيار بين:

- أن نقوم بدعم المرأة أم لا،
- أن نقوم بحمايتها أم لا،
- أن نقوم بالدفاع عن حقوقها أم لا،
- أن ندافع أم لا ندافع إلى جانبها في البلدان التي تمزقها الصراعات،
خيار بين أن نبني أم لا السلام في البلدان التي تشهد نزاعات.

فقرار اتخاذ أي إجراء يعني رفض اللامبالاة.

وإذا كان لا بد من شن حرب، فلتكن حرباً ضد التجاهل أو اللامبالاة التي تنخر جسد مجتمعاتنا.

ثانياً، نحن جميعاً مدينون لتلك النساء وأحبائهن، ويجب علينا جميعاً أن نمتلك هذه المعركة؛ وهذا يسري أيضاً على الدول التي يتعين عليها التوقف عن الترحيب بالقادة الذين يتساهلون مع استخدام العنف الجنسي للاستيلاء على السلطة أو الذين استخدموه فعل وهذا أسوأ.

يجب على الدول التوقف عن بسط السجاد الأحمر أمامهم لاستقبالهم، وبدلاً من ذلك عليهم رسم خط أحمر ضد استخدام الاغتصاب كسلاح في الحرب.

يشمل هذا الخط الأحمر فرض عقوبات اقتصادية وسياسية عليهم وإحالتهم إلى المحاكم.

فعل الخير ليس بالأمر العسير. إنها مسألة تتوقف على الإرادة السياسية.

ثالثاً، يجب أن نعترف بمعاناة الناجين من جميع أعمال العنف ضد المرأة في الصراعات المسلحة وأن ندعم بشكل كامل عملية التعافي.

إنني أعلق أهمية كبيرة على جبر الضرر: أي التدابير التي من شأنها أن تمنحهن التعويضات والشعور بالارتياح وتمكنهن من بدء حياة جديدة. إنه حق من حقوق الإنسان.

أدعو الدول إلى دعم مبادرة إنشاء صندوق عالمي لتعويض ضحايا العنف الجنسي في النزاعات المسلحة.

رابعاً، وبالنيابة عن جميع الأراذل والأيتام جراء المجازر التي ارتكبت في جمهورية الكونغو الديمقراطية

وجميع الكونغوليين المحبين للسلام، أَدعو المجتمع الدولي أخيرا إلى أن يأخذ في الاعتبار تقرير "مشروع رسم الخرائط" وتوصياته.

فلا بد للعدالة أن تسود.

لأن ذلك سيتيح للشعب الكونغولي البكاء على موتاه، والحداد عليهم، والمغفرة لمُعدبيهم، وتجاوز معاناتهم، وأخيرا استشراف المستقبل بكل طمأنينة.

أخيرا، وبعد 20 عاما من إراقة الدماء والاعتصابات والنزوح الجماعي للسكان، ينتظر الشعب الكونغولي بشغف تنفيذ المسؤولية عن حماية المدنيين عندما لا تستطيع حكومتهم، أو لا تريد، ذلك. إنه ينتظر تمهيد الطريق إلى سلام دائم.

ولتحقيق هذا السلام، يجب أن يكون هناك التزام بمبدأ انتخابات حرة وشفافة وموثوقة وحرّة وسلمية.

"يا شعب الكونغو، دعونا نشمر عن سواعدنا" لبناء دولة في قلب أفريقيا حيث تكون الحكومة في خدمة شعبها. دولة تنعم بسيادة القانون وقادرة على تحقيق تنمية دائمة ومتناغمة ليس فقط في جمهورية الكونغو الديمقراطية بل في إفريقيا بأكملها؛ وحيث تتمحور جميع التدابير السياسية والاقتصادية والاجتماعية حول نهج يركز على الشعب لاستعادة الكرامة الإنسانية لجميع المواطنين.

أصحاب الجلالة، أعضاء اللجنة الموقرة، السيدات والسادة، أصدقاء السلام

إن التحدي لواضح. وإنه في متناول أيدينا.

فمن أجل كل فتاة مثل سارة ومن أجل كل نساء ورجال وأطفال الكونغو، أوجه إليكم اليوم، من أسلو، نداءً ليس لمنح جائزة نوبل للسلام لشعب بلدي فحسب، بل لنقف جميعا ونردد بصوت عالٍ: "كفى عنفا في جمهورية الكونغو الديمقراطية! كفى، كفى. السلام الآن"

شكرا لكم.

دينيس موكويجي